

المسرح بين التثقيف والتسلية

تمهيد: قل أن تشهد الأعمال المسرحية إقبالا جماهيريا كبيرا، ويرجع النقاد ذلك إلى مواقف الجمهور من الفن عامة، ومن الفن الرابع على وجه التحديد. فالبعض يرى فيه مصدرا ثقافيا يساهم في رقي الشعوب، ويستشهد بقول القائل «أعطني مسرحا أعطك شعبا عظيما»، في حين لا يرى فيه آخرون إلا فرصة للتسلية والترويج عن النفس.



1 قال [جك روسو] إن الناس لا يذهبون إلى المسرح بروح الرغبة في التماس الثقافة، أو بروح الاستعداد لتلقي دروس أو مواعظ في الأخلاق والتثديب، وإنما يذهبون إلى المسرح بحثا عن التسلية وتزجية للفراغ...

تزجية للفراغ:
دفعاً له

5 والواقع أن كل تفكير مخلص نزيه لا يستطيع إلا أن يسلم

بصحة ما رآه روسو، من أن الناس لا يذهبون إلى المسرح التماسا للثقافة والتثديب، وإنما يذهبون للتسلية والترويج وتزجية الفراغ، ولكن المشكلة - بعد ذلك - هي: هل من الممكن أن يساهم المسرح في تثقيف الناس وتثديبهم خلال تسلية لهم؟... والحق أن التسلية نفسها قد تكون تهديبا، وذلك بشرط أن تنجح في الاستحواذ

10 على تفكير الجمهور وإحساسه، فتصرفه ولو لفترة قصيرة من الزمن عن مشاغله وهمومه الملحة، وبذلك تنفس عنه، وتخفف ضائقته، وقد تفك عن عقله الغشاوة التي تعوق رؤيته للحلول الممكنة لمشاكله، فيخرج الرجل منا من المسرح، بعد فترة التروييح التي قضاها، وقد أصبح قادرا على أن يعاود النظر إلى همومه، وأن يلتمس لها حولا، وأن ينفص عنه اليأس...

ضائقته: قلقه
وضجره.

15 ونحن وإن كنا لا نستطيع أن نطمئن إلى جدوى المسرح الذي ينقلب إلى

منبر وعظ وإرشاد... وإن كنا كذلك قليلا الأمل في أن يستفيد الناس من المغزى التثديبي للتجارب البشرية التي يقدمها المسرح على خشبته، وذلك بحكم أن الناس قلما يستفيدون من تجارب الغير... إلا أن التجارب البشرية التي يقدمها المسرح على خشبته، إذا كنا لا نستفيد منها عن طريق مباشر في تسديد سلوكنا

20 في الحياة، لا بد أن نستفيد منها عن طريق غير مباشر، وهو طريق الفهم الحياة

وَدَوَافِعَهَا الْخَفِيَّةَ وَالظَّاهِرَةَ، وَحَقِيقَةَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَنَتَائِجَهُمَا الْقَرِيبَةَ وَالْبَعِيدَةَ...
وَهَكَذَا نَخْلُصُ إِلَى أَنَّ الْمَسْرَحَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يُصْبِحَ وَسِيلَةً لِتَهْدِيبِ الْبَشَرِ عَنْ
طَرِيقِ تَوْسِيعِ فَهْمِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ، وَلِلْحَيَاةِ، وَلِحَقِيقَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَمَا فِيهِمَا مِنْ
جَمَالٍ أَوْ قُبْحٍ.

محمد مندور، في المسرح المصري المعاصر، دار نهضة مصر للطبع والنشر،
القاهرة، د.ت. ص ص 10-12

الأعلام

تعريفات

المؤلف: محمد مندور: (1907 - 1965) من أشهر النقاد في الأدب والمسرح، حاصل على إجازة في الحقوق، وإجازة في الآداب الفرنسيّة من جامعة السوربون، ودكتوراه في الآداب من جامعة القاهرة. أهمّ مؤلفاته: «المسرح العالمي»، «المسرح المصري»، «مسرح توفيق الحكيم»، «في الميزان الجديد»، «الثقافة وأجهزتها»... قال عنه أحد النقاد: «كان يملك ضمير القاضي المنزه عن الهوى، وثقافة موسوعيّة تمكّنه من التأثير في واقعه، ويحترم الماضي، ولكن لا يسمح بأن يهيمن على الحاضر».

رُوسُو: ROUSSEAU Jean-Jacques (1712 - 1778) كاتب فرنسيّ ولد بجنيف. له تأليف فلسفيّة واجتماعيّة. كان لمبادئه تأثير في نشأة الثورة الفرنسيّة والرومنطيقيّة. أهمّ مؤلفاته: «العقد الاجتماعيّ» و«إميل و«الاعترافات».

الفهم والتّحليل

- 1 - لم يدحض الكاتب أطروحة «روسو» ولكنّه عمل على تعديلها. قسّم النصّ بحيث تبرز ما وافق فيه الكاتب «روسو» وما خالفه فيه.
- 2 - حدّد الأدوات التي مكّنت الكاتب من تعديل موقف «جان جاك روسو» وتّسبيبه.
- 3 - عدّد الكاتب فوائد المسرح، استخرجها وبوّبها وفق مجالات (اجتماعيّة، نفسيّة...)
- 4 - يرى الكاتب أنّ التجارب التي يقدّمها المسرح يمكن الاستفادة منها بطريق غير مباشر، حلّل هذه الفكرة معتمدا أدلة مقنعة.

التّفكير وإبداء الرّأي

«لا نستطيع أن نطمئنّ إلى جدوى المسرح الذي ينقلُ إلى منبرٍ وعظٍ وإرشادٍ». وضّح مقصد الكاتب من هذا القول وأبد رأيك فيه.

إنتاج كتابيّ

إقبال الجمهور على المسرح طلبا للتّسلية والتّثقيف يتجاوز المسرح إلى بقيّة الفنون. حرّر فقرة من خمسة عشر سطرا تتوسّع فيها في هذا الرّأي وادعمه بحجج من الواقع المعيش.

1 - وَإِنَّمَا يَذْهَبُونَ إِلَى الْمَسْرِحِ بَحْثًا عَنِ التَّسْلِيَةِ.

بَحْثًا: مفعول لأجله ورد مصدرا منصوبا ومنونا، رأسا لمركب شبه إسنادي. وهو يفيد الغاية من ذهاب الناس إلى المسرح.

2 - وَإِنَّمَا يَذْهَبُونَ لِلتَّسْلِيَةِ.

لِلتَّسْلِيَةِ: مركب بحرف الجرّ، (حرف اللام الدالّ على التعليل) وهو مصدر. وظيفة المركب بحرف الجرّ مفعول لأجله، وهو يفيد غاية الناس من الذهاب إلى المسرح. المفعول لأجله يكون مركبا شبه إسنادي رأسه مفردة نكرة منصوبة، أو مركبا بحرف الجرّ. ويستعمل في النصّ الحجاجي للإعلام والتذكير بسبب وقوع الفعل أو الحدث، تأثيرا في المحاجّ أو المتلقي، ودفعه إلى التخلي عن أطروحاته والتسليم بأطروحة من يحاجّه.

استخرج من النصّ بقية المفردات أو المركبات الواردة مفعولا لأجله، واذكر المعنى الذي أفاده كلّ منها.

1- إنّ المسرح في الظرف الرّاهن مدعو إلى التّخلي عن الأشكال التّقليديّة الموروثة عن العهود السّابقة، وذلك كي يجد أشكالاً جديدة، ولغة حديثة عصيّة. عليه أن يخلق حواراً جماعياً مع جماهير المتفرّجين، وأن يتفهم حاجاتهم كي يحلّها، ويعرض على بساط البحث مشاكل النّاس اليوميّة ومتطلّبات حياتهم. وباختصار يجب أن تنقلب خشبة المسرح إلى ميدان حقيقيّ للحوار والنّقاش الجماعيّين. وعلى الفنّ المسرحي أن يترك البرج العاجيّ الذي مازال يحلو لبعض الكتّاب الانغلاق فيه. ويتحتّم على الكاتب المسرحي أن يهتمّ إلى جوار المشاكل الكبرى... بالمشاكل التي تتصلّ بحاجات الفرد. باختصار يجب أن يكون الإنسان محور المسرح المعاصر.

علي الرّاعي، المسرح في الوطن العربيّ، عالم المعرفة، عدد25، 1979، ص 490

إغناء



2- عندما نتحدّث عن فنّ المسرح فنحن في الواقع نعني أمرين: النصّ الأدبيّ والعرض المسرحيّ، أي الصّورة الذهنيّة التي رسمها المؤلّف على الورق والصّورة الحسيّة التي بناها المخرج على خشبة المسرح.

رشيد ياسين ، دعوة إلى وعي الذات - فصول في نظريّة الدراما والنقد المسرحيّ،
من منشورات اتحاد الكتاب العرب 2000

3- قال « هوراس والوب » عن المسرح الكوميديّ والمسرح التراجيديّ: « الدنيّا كوميديّا للذين يفكّرون، وتراجيديّا للذين يحسّون »

مولوين مرشنت، Moelwyn Merchant ، الكوميديا، ترجمة جعفر صادق الخليلي،
سلسلة زدني علما منشورات عويدات بيروت باريس، 1980. ص 10.



المسرح البلديّ بتونس - وقع افتتاحه سنة 1902

تطور عدد الفنون عبر الزمن

عرف الإنسان التعبير الفني منذ فجر الإنسانية، وقد تكون الرسوم التي وقع العثور عليها في عدد من الكهوف أقدم الإنجازات الفنية البشرية. أما على المستوى الحضاري فيبدو أن الإغريق كانوا من السابقين إلى الاهتمام بالفنون فجعلوا لها ربّاتٍ عددها تسع، وهي:

1 - «كاليوب» ربّة الشّعْر الحماسي، 2 - «كليو» ربّة التاريخ، 3 - «إيراتو» ربّة الشّعْر الملحمي، 4 - «أوترب» ربّة الموسيقى، 5 - «مالبونام» ربّة المأساة، 6 - «بولني» ربّة الكتابة والإيماء، 7 - «تربسيكور» ربّة الرّقص، 8 - «ثالي» ربّة الكوميديا، 9 - «أوراني» ربّة الفلك¹.

وهي في الفكر الأفلاطوني تقوم بدور الوسيط بين الإله والشاعر أو الفنّان المبدع. وفي إطار هذا التّصوّر كان الفنّان خاضعا للآلهة، منتظرا لإلهامها، وهو ما يرفضه الكلاسيكيون القائلون بـ«الفنّ للفنّ» مثل «نيكولا بوالو». ثمّ تطوّرت الفنون في القرون الوسطى فتمازجت مع العلوم، وانقسمت إلى فنون حرّة يرتبط ثلاثة منها بالكلام، وهي: البلاغة، والنحو، والجدل، وفنون ميكانيكيّة تشمل الأعمال اليدويّة المقابلة للأعمال الفكرية، مثل: الهندسة المعماريّة، والنّحت، وصناعة الحلّي. فبرزت بعض الفروق بين الفنون القائمة على المجرّدات والفنون الهادفة إلى إحداث تحويّلات وتغييرات على الأشياء الماديّة.

وفي عصر النهضة أصبحت الفنون تعني المعارف اليدويّة وثقافة المهن، فارتبطت بعض الفنون بأثرها في المادّة من حيث حجمها، مثل: النّحت، والهندسة المعماريّة. وكان أثر البعض الآخر في السّطح، مثل: الرّسم، والحفر. وهذا التّقابل سيكرّس استعمال مصطلحيّ الفنون التّشكيلية المهتمّة بشكل المادّة وحجمها، وفنون الرّسم المهتمّة بالتزيّيق الخارجيّ.

وفي القرن الثامن عشر ظهر مصطلح الفنون الجميلة في موسوعة «ديدرُو» و«ألْمَبَار» حوالي 1752، وكان يعني الفنون الأربعة التي تدعى - اليوم - الفنون التّشكيلية، وهي: الهندسة المعماريّة، والنّحت، والرّسم، والحفر، ثمّ رتب «هيغل» ما بين سنتي 1818 و1822 الفنون بحسب درجة تأثيرها في المادّة ومقدار توظيفها للعواطف وقدرتها على التّعبير عن المجرّدات فكانت عنده ستّة، وهي:

1. الهندسة المعماريّة 2. النّحت 3. الرّسم 4. الموسيقى 5. الرّقص 6. الشّعْر.

ثمّ ظهر مصطلح الفنّ السّابع الذي اقترحه النّاقِد السّينمائيّ الإيطاليّ «ريتشييطو كانودو» Riccitto Canudo في مقال بتاريخ 25 أكتوبر 1911، ثمّ في بيان الفنون السّبعة (ضمن مجلّة «قازات الفنون السّبعة» عدد 2 لِسَنَةِ 1922). وفيه اعتبر أنّ السّينما فنّ يؤلّف بين «فنون الفضاء» (الهندسة

¹ Les 9 Muses : Calliope : la poésie épique ; Clío : l'histoire ; Érato : la poésie lyrique ; Euterpe : la musique ; Melpomène : la tragédie ; Polymnie : l'art d'écrire et la pantomime ; Terpsichore : la danse ; Thalie : la comédie ; Uranie : l'astronomie

والرّسم والنّحت) وفنون الزّمن (الموسيقى والرّقص)، ورأى أنّه أداة لنهضة جديدة للفنون باعتباره جامعاً لها. وقد سمّي «جان كوكتو» السّينما «الرّبة العاشرة للفنّ»، ولكنّ تسميته لم تلق رواجاً. وتعالى تنامي عدد الفنون، فتنازع المرتبة الثامنة «فنّ الأداء والتّمثيل» والتلفزة، وبعد بعض التّردّد بين النّقاد غلبت التّسمية على التلفزة. وكانت المرتبة التاسعة للرّسوم المتحرّكة وهي تسمية تعود إلى «موريس دي بافيار» Maurice de Bavière مبدع رسوم «لوكي لوك» في مقال بجريدة «سبِيرُو» Spiro 1964. وورد – أخيراً - اسم الفنّ العاشر لتسمية ألعاب الفيديو في كلمة ألقاها وزير الثّقافة والمواصلات الفرنسيّ Renaud Donnedieu de Vabres حين وسّم Michel Ancel و Shigeru Miyamoto و Frédéric Raynal وثلاثتهم من مبدعيّ ألعاب الفيديو. ومن يدري ما سيكون الفنّ الحادي عشر!!!...

المراجع:

- جريدة «لُومند» جانفي 2005. ومجلة VSD عدد 1553. والموسوعة الإلكترونيّة Wikipedia.



رسم يعود إلى العصر الحجريّ.



صخرة منحوتة تجسّم ربّات الفنون التّسعة عند الإغريق.